

السهروردي والسياسة حياته وملاح فكره

د. قيس كاظم النابي¹

حياته:

هو يحيى بن حبش بن اميرك (تصغير أمير) ابو الفتوح شهاب الدين²، وقيل إن اسم جده اميركا (تصغير أمير)³، وقيل إن اسمه احمد أو عمر والاول اصح⁴، وقيل إن اسمه يحيى ومحمد وعمر⁵ وقيل كنيته اسمه وهو ابو الفتوح⁶ والصواب كما ذكر أولا وهو يحيى⁷، وكنيته شهاب الدين وقد لقب بالمقتول⁸ بعد قتله تمييزاً له عن شهاب الدين السهروردي عمر بن محمد بن عبد الله ابو حفص صاحب كتاب (عوارف المعارف)، وغيره من المتصوفة والزهاد وقيل لقب المقتول : لثلا يوصف بالشهيد كما وصف الحلاج أولا .

¹ استاذ النقد وأدب، اتحاد ادباء العراق .

² ديوانه، المقدمة :4.

³ مرآة الجنان :4/290، وفيات الاعيان :6/268، طبقات الاطباء :2/642

⁴ الفلاكة والمفلوكون :91

⁵ وفيات الاعيان :6/268

⁶ وفيات الاعيان :6/268

⁷ مقدمة ديوانه :4

⁸ معجم الادباء :19/315-316 ؛ وفيات الاعيان :6/268 ؛ ميزان الاعتدال :2/282 ؛ سير أعلام النبلاء :21/211 ؛ مرآة الجنان :3/434 ؛ النجوم الزاهرة :6/151 ؛ شذرات الذهب :4/290؛ تاريخ الإسلام :41/283 ؛ الوافي بالوفيات :12/303؛ لسان الميزان :7/132؛ الفلاكة والمفلوكون :91 ؛ طبقات الاطباء :642؛ العبر الذهبي :4/263؛ ايضاح السعادة:1/247؛ تاريخ بن الوردي :3/104؛ كشف الظنون:1713،1560،1197،684،482،316،159؛ ايضاح المكنون :1/521،2/330،607،503؛ فهرست المكتبة الخديوية :6/674-105،676 ؛ الأعلام :8/140؛ معجم المؤلفين :13/186؛ فهرست شعراء الموسوعة الشعرية :1/693 عن (www.cutural.org.ae) ؛ معجم المطبوعات :1/1061 ؛ هدية العارفين :2/521،426،72.

ينسب إلى بلدة سهرورد، بلدة قرب زنجان بالجبال خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء، منهم الشيخ ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، البكري السهروردي الفقيه الصوفي الواعظ قدم بغداد وهو شاب وسمع بها الحديث من علي بن نبهان واشتغل بدرس الفقه على اسعد المهيني وغيره وسمع باصبهان أبا علي الحداد فيما يزعم واشتغل بالزهد والمجاهدة مدة حتى انه كان يستقي الماء ببغداد وياكل من كسبه، ثم اشتغل بالتذكير وحصل له فيه قبول وبني ببغداد رباطات للصوفية من أصحابه وولي المدرسة النظامية واملى الحديث وقدم دمشق سنة 558هـ عازماً على زيارة بيت المقدس فلم يتفق له ذلك لانفساخ الهدنة بين المسلمين والعدو (الصليبي) فاكرمه نور الدين محمود بن زنكي وقدمه واحترمه وكانت ولادته بعد وفاة السهروردي المقتول وذلك سنة 490هـ وله ابن اخ هو الشهاب ابو نصر عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه السهروردي أمام وقته لساناً وحالاً وكانت ولادته سنة 539هـ، قدم بغداد وصنف كتابه [عوارف المعارف]⁹، ومن شعر عمر السهروردي :

تصرمت وحشة الليالي	واقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسوداً	من كان في هجركم دنا لي
وحقكم ! بعد إذ حصلتم	بكل ما ف لا ابالي
عل ما للورى جرام	وحبكم في الحشا حلاي
احييتمونني وكنت ميتا	وما بعتموني بعد غالي
تقاصرت دونكم قلوب	فيا له موردا حلالني !
تشربت اعظمي هواكم	فما لغير الهوى ومالي ؟!

⁹ معجم البلدان: 289/3-290، لسان الميزان: 295/5، طبقات الاولياء: 202-

فما علي دم أجاجا وعنده اعيان الزلال؟! (10)
وقال أيضا :

ربيع الحمى - مذحلتهم - معشب نصر
المنظر

لا كان وادي الغضا لاتنزلون به ولا الحمى سخ في
ارجائه مطر

ولا الرياح وان رقت نسائمهم
لاضمها سحر (11)

ولادته: ليس لدينا تاريخ دقيق بولادته ولكن مترجميه يتفقون على إن ولادته
كانت سنة 549هـ/1154م (12)، ويرى الذهبي بأنه توفي سنة 586هـ وأنه عاش
36 سنة (13) مما يعني إن ولادته ربما كانت سنة 544هـ والله اعلم .

سيرته :

نرحب أنه ولد سنة 549هـ، ونشأ في بلدة سهرورد في كنف التصوف فقد
كان خاله الشيخ عمر السهروردي يكبره بعشر سنين (14) فتلقى علوم الفلسفة
والتصوف منذ صغره على اساتذة ذوي باع طويل، وتلقى معهما الموضوعات
العقلية، فقد قرأ الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجلي بمدينة مراغة من
اعمال اذربيجان إلى ان برع فيهما ومجد الدين هو محمد بن عمر بن الحسن الرازي
(544 - 606 هـ / 1150 - 1210م) وهو شيخ نخر الدين الرازي وعليه تخرج

¹⁰ طبقات الاولياء: 202-203

¹¹ نفسه: 203

¹² نفسه: 203

¹³ تاريخ الإسلام: 8/140، معجم الشعراء العباسيين: 220، معجم المؤلفين: 13/186

¹⁴ روضات الجنات: 4/109 (ط طهران 391هـ)

وبصحبته انتفع، وكان اماما في فنونه لذا كان السهروردي اوجد أهل زمانه في علوم الحقيقة والفلسفة بارعا في أصول الفقه مفرط الذكاء وكان علمه اكثر من عقله⁽¹⁵⁾، وقصد بعد ذلك اصبهان ودرس هناك (البصائر النصيرية) للساري، زين الدين عمر بن سهلان⁽¹⁶⁾ (ت نحو 450هـ / 1058م) وكان استاذة في ذلك ظهير الدين الفارسي، وكتاب (البصائر النصيرية) هو تلخيص لمنطق كتاب (الشفاء) لابن سينا وهو شيعي اسماعيلي وهناك ترجم السهروردي (رسالة الطير) لابن سينا إلى الفارسية ومنها دخل إلى بلاد الروم (إي الدولة العثمانية فيما بعد) واستقر في ديار بكر، وصنف أول رسالة فظهر فيها استقلاله الفكري عن الفلسفة المشائية العقلية مقتربا من الفلسفة الافلاطونية المثالية، فاصل بذلك فلسفته الاشراقية وهي (الالواح العمدية)⁽¹⁷⁾ وفي سنة 579هـ رحل إلى حلب ونزل مدرسة الخلاوية وعقد له الظاهر بن صلاح الدين مجلسا فبان فضله وبهر علمه وحسن موقفه عند السلطان وقربه واختص به فشنعوا عليه وعملوا محاضر بكفره وزادوا عليه أشياء كثيرة وسيروها نحو دمشق إلى الملك صلاح الدين وقالوا : إن بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك ان أطلق فانه يفسد إي ناحية كان بها من البلاد فبعث صلاح الدين إلى ولده الظاهر بحلب كتابا في حقه بخط القاضي الفاضل وهو عبد الرحيم بن علي السعدي (529 - 596هـ / 1135 - 1200م) فيه : إن هذا الشهاب السهروردي لا بد من قتله ولا سبيل إن يطلق ولا يبقى وحده باي وجه من الوجوه⁽¹⁸⁾.

¹⁵ الجنان: 434/3، شذرات الذهب : 434/3، معجم الادباء: 315/19

¹⁶ قاضي وفيلسوف سرد الشريعة والحكمة في نظام، رحل من ساوة إلى نيسابور ومات ببغداد ودفن بباب حرب، ترجمته : تنمية صوان الحكمة: 26، آثار البلاد واخبار العباد: 157، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار : 96/5، معجم المؤلفين: 285/7

¹⁷ الوافي بالوفيات: 170/279، كشف الظنون: 282/1، مقدمة الديوان: 650، تنمية صوان الحكمة: 26

¹⁸ تاريخ الإسلام: 285-284/41، معجم الادباء: 500/2 وما بعد، طبقات الاطباء: 642-644، شذرات الذهب: 290/4، مرآة الجنان: 434/3، الفلاحة: 91

صفاته :

وصفه معاصروه بأنه كان معتدل القامة والجنة، احمر اللون يسافر كثيرا على قدمه⁽¹⁹⁾، أما هيئته، فقد كان زري الخلقه دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولايدا ولايقص ظفرا ولاشعرا وكان القمل يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه وكل من يراه منه وهذه الاشياء تنافي الحكمة والعقل والشرع⁽²⁰⁾ وهذا هو احد الاسباب التي دفعت خصومه إلى اتهمه بالزندقة حتى وصفوه بأنه كان رث البزة لا يلتفت إلى ما يلبسه ولا له احتفال بامور الدين⁽²¹⁾، كما عرف بكثرة تهوره واستهتاره⁽²²⁾ وقد جمع بين هذه الصفات وقوة المعرفة، حتى وصف بالفيلسوف، شاب فاضل متكلم مناظر يتوقد ذكاء⁽²³⁾ فقالوا عنه ((كان علمه اكثر من عقله ... ويقال انه كان يعرف علم السيمياء))⁽²⁴⁾ وحكوا عنه حكايته مع صاحب الغنم التركماني عن احد فقهاء العجم : انه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق فلما وصلوا إلى القابون قرب باب دمشق في الطريق المتجه إلى حلب، فلما تشاطر معه اخذ يعمل نوعا من الشعبة التي تشبه ما يفعله الآن البهلوان في السيرك فقد كان يخلع يده ثم يعيدها أو هكذا يبدوا للناظر عبر نوع من الحيل الذكية،⁽²⁵⁾ وكانت قدراته هذه منحه نوعا من الغرور واهمال الآخرين وعدم

¹⁹ نزهة الارواح للشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود (ت بعد 687 هـ

1288م) 126/2 (حيدرآباد 1976 ط2)، مقدمة ديوانه :8

²⁰ شذرات الذهب :292/4

²¹ طبقات الاطباء :644، الفلاكة :91

²² تاريخ الإسلام :284/41

²³ تاريخ الإسلام :283/41

²⁴ وفيات الاعيان :269/6

²⁵ ينظر الحكاية : وفيات الاعيان :269/6-270، مرآة الجنان :434/3، شذرات الذهب :291/4، طبقات

الاطباء :642-644

الاهتمام باصحاب المقامات من الوزراء والفقهاء فألبوا عليه السلطان واستحصلوا امرا بقتله فضلا عن ملكته العقلية المذهلة التي فسرها .

مقتله :

تتفق مصادر ترجمته، على إن مقتله كان سنة 587هـ /1191م وكان عمره نحو 38 سنة (26) وقيل سنة 586 هـ /1190م وعمره نحو 36 سنة (27)، أما طريقة قتله فيقاتل : إن الظاهر أمر بختقه بأمر من والده صلاح الدين (28) وقيل اخرج ميتا من الحبس، فتفرق عنه أصحابه (29) مما يعني إن العامة افتنت به مثل ما حدث للحلاج، ويقال انه اختار القتل وصلب اياما، وقيل : خير في انواع القتل فاختر القتل بالجوع لاعتياده الرياضيات فنع من الطعام حتى تلف (30) ثم مات .

الغربة الغربية:

يبدأ شهاب الدين السهروردي كتابه (الغربة الغربية) بالبسملة، ثم قال الشيخ وهو كلام كتبه غيره وليس السهروردي، ثم تبدأ المقدمة مع التحميد ثم يستهل القصة كما جاء العنوان مصحوبا بلفظة (قصة) في إشارة إلى انها حكاية نسجها على لسانه كما قال في بدايتها بقوله : أما بعد فاني لما رايت قصة حي بن يقظان صادفتها مع ما فيها من عجائب الكلمات الروحانية والاشارات العميقة متعرية من تلويحات تشير إلى الطور الاعظم الذي هو الطامة الكبرى المخزونة في الكتب الالهية المستودعة في رموز الحكماء المخفية في قصة سلامان وابسال التي رتبها صاحب قصة حي بن

²⁶ تاريخ ابن الوردي : 149/3، مرآة الزمان : 292/4، مرآة الجنان : 437/3، تاريخ الإسلام : 286/41، وفيات الاعيان : 373/6، كشف الظنون : 361، 482، ينظر : مصادر ترجمته الانفة الذكر وبالذات : معجم المؤلفين : 186/13، الأعلام : 140/8:

²⁷ الفلاحة : 91، معجم الادباء : 316/19 : تاريخ الإسلام : 284/41، وفيات الاعيان : 273/6، 269

²⁸ تاريخ ابن الوردي : 149/3

²⁹ وفيات الاعيان : 273/6

³⁰ مرآة الجنان : 437/3، شذرات الذهب : 292/4

يقظان وهو السر الذي ترتب عليه مقامات أهل التصوف واصحاب المكاشفات وما اشير اليه في رسالة حي بن يقظان الا في اخر الكتاب حيث قيل : ولربما هاجر اليه أفراد من الناس، إلى اخر الكلمات فاردت إن اذكر منها شيئاً في طرز قصة سميتها انا قصة الغريبة لبعض اخواننا الكرام وعلى الله اتوكل ما اروح³¹.

يشير هذا الاستهلال الذكي والواضح إلى تأثيره بحكاية حي بن يقظان لابن طفيل وبحكايات سلامان وابسال التي تأثرت بها من خلال دمج مقامات / رؤى المتصوفة بالحكايات بوصف الرؤيا تعبير حقيقي عن الحدس الصوفي وعن هاجس الاستشراف في علاقة حميمة تربط بين الفلسفة والسرد عبر حكاية الرؤيا وقد كان ابن شهيد الاندلسي (ت نحو 403هـ / 1013م) قد سبقه في تحرير رسالة (التوابع والزوابع) التي حاكى بها رسالة الغفران لابي العلاء المعري (ت 449هـ / 1057م) إذ تبدو هذه المقدمات لها صلة بحكايات ورؤى السهروردي المتأثر بالفلسفة الافلاطونية وفي ذلك عودة إلى مقارنة الرؤيا بالاسطورة أو بالتابع الأولى للفلسفة الانسانية وذلك إن الاسطورة تبدو حلماً جماعياً وحلماً عاماً فيكون اشبه بالاسطورة.³² وكذلك إذا عوملت معاملة من شأنها إن تكشف عن واجبها في التوغل إلى جوهر عقل الإنسان والوعي الكامل فيه حتى تبدو احياناً لغة الاحلام وسيلة لفهم لغة الاساطير والحكايات.³³

ويبدو انه سماها الغربة الغربية لأنها تصف رحلته من بلاد ما وراء النهر (بلاد الترك) إلى بلاد المغرب (شمال افريقيا)، وهي رحلة توازي رحلة النبوءة والاكتشاف لأنها تستفيد من مقومات العروج وبواعثه المضمرة من خلال توظيف دلالات الايات القرآنية التي اقتبسها في هذه الحكاية لان الرحلة / السفرة هي لغرض صيد (طيور ساحل اللجة الاخضر) لان اللون الاخضر لدى المتصوف

³¹ قصة الغربة الغربية، ضمن مجموعة شيخ الاشراق: 274-275

³² قوة الاسطورة: 57

³³ الحكايات والاساطير والاحلام: 15

يحمل دلالات الخلود والنصب والحياة بكل معانيها، من خلال الصلة الجميلة بينه وبين شخصية الخضر (ع) التي دفعت المتصوفة إلى انشاء العديد من المقامات في الكثير من البلدان الاسلامية مثل العراق وفلسطين لموجود أماكن مقدسة وقبور للانبياء والاولياء والقديسين في وقت زاد فيه التوجه الصوفي بعد الحروب الصليبية وتلاشت صورة الحاكم القوي أو العادل الذي يحمي الضعيف ويوقف تمادي الاستبداد والخوف ؛ فاللجة الخضراء هي لجة البحر ظاهرا وساحل السدة الالهية باطنا، ويستمر مع اخيه في رحلته، محايا الانبياء الذين ياخذون معهم احد اخوتهم أو اصحابهم في ظروف البحث عن سبيل إلى الله أو الهرب من الاعداء كما هو حال النبي موسى حين رحل مع صاحبه بحثا عن شخصية الخضر المتمثل بالشخص الصالح، والروح الخالد والنبي محمد الذي هرب من قومه بحثا عن ارض تاويه وكان الوحي المتمثل بـ جبرائيل لاينزل منفردا ليحمل رسالته، فلما بلغا مدينة القيروان التي سماها القرية الظالم اهلها موازاة لها مع القرية التي كان يحكمها ملك غاشم ياخذ كل سفينة غصبا فاحس بهما قومهما وأنهما من اولاد الشيخ المشهور بالهادي ابن الخير اليماني (34) وهو شخصية توازي اليماني الذي ابتكره العقل الباحث عن منقذ في العصر الاموي للقضاء على الظلم الإنساني السائد لإقامة دولة الحق والعدل والحقيقة، انه يشير إلى شخصية الخضر لأنه يعزى نسبه إلى اقوام عربية قديمة اتصل ذكرها مع شخصية الاسكندر ذي القرنين والذي صحبه في رحلته من القدس إلى مجاهل اليمن أو نهايات العالم عند مغرب الشمس حيث راها كيف تغيب ومن هنا جاءت فكرة الغربة في الحكاية والغريبة في التعبير عن احالات لرحلة الاخوين إلى بلاد المغرب، اللافت للنظر إن المصنف كتب القصة على شكل فقرات مرقمة وصلت إلى (45) فقرة وهو بما يشير إلى الرقم المقدس (اربعون) لدى الصوفية ذلك إن شخصية الخضر يطلق عليها اصطلاح (جاووش الاربعين)

³⁴ الحكايات والاساطير والاحلام :15

إي قائد الأربعين وجاوش كلمة تركية تعني العريف أو المسؤول تلافيا لذكر كلمة قائد أو أمير أو زعيم لأن هذه من الاصطلاحات الدنيوية، ويقع الاثنان في الاسر فيأخذونها كما يقول : مقيدان بسلاسل وأغلال من حديد وحبسونا في قعر بئر لا نهاية لسمكها ⁽³⁵⁾، في احالة إلى جب النبي يوسف ع وغربته إذ اقترن سجنه بتفسير الاحلام وهو ما يشير إلى طبيعة سرد هذه الرحلة في انه يوازي سرد الرؤيا ولغرض الاقتناع رأى الكاتب انه يقرن الظلم بالترف إذ كانوا بجوار حبسهما في البئر المعطلة إي التي لاماء فيها، في إشارة إلى نضوب الوحي وتلاشي ثمة قصر عليه ابراج والقصر يعني السلطة والترف ووجود الحاكم المستبد مع امكانية السماح لهما بالصعود اليه متجردين مساء، أما نهارا فلا بد لهما من إن يهوى بهما في غيابه الجب المظلم لا يرى فيه الإنسان يده، فصعدا إلى القصر بانتظار إن يحمل لهما حمام (طيور) اليمن بالاخبار، أو (بروق يمانية) في إشارة إلى علاقة البرق بالوحي، لحمل اخبار الوطن وربما نتساءل : لماذا كانت الرحلة من الشرق إلى الغرب ؟ ولماذا يقترن الغرب بالغربة ؟ لقد رحل النبي يوسف من الشام إلى مصر ورحل النبي موسى من الشام إلى طور سيناء في مصر وخرج النبي محمد ص من مكة إلى يثرب، ورحل الاسكندر مع الخضر إلى مغرب الشمس، امكن إن تكون هذه الاحالات ذات علاقة باسر اليهود من اورشليم إلى بابل حيث اخذهم نبوخذ نصر اسرى ؟ وهو ما حصل للاخوين أيضا ؟

وفي رحلة الصعود والهبوط من القصر إلى الجب رأوا الهدهد رمز كشف الاسرار لأنه جاء للنبي سليمان ع باخبار ملوك الأرض واخبر عن ملك بلقيس فلم عليها في ليلة قمرء وفي منقاره رقعة من شاطئ الوادي الأيمن في إشارة إلى اخبار اليمن حيث اللقاء بين يمن السهروردي ويمن بلقيس في رحلة العروج هذه فجاء الهدهد

³⁵ الغربة الغربية: 277

بخلاصهما لأنه يحمل معه الانباء ورقعة (رسالة) من ابياها فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، شوقناكم فلم تشتاقوا ودعوناكم فلم ترتحلوا واشرناكم فلم تفهموا (36) .

وفي الرقعة الثانية اشارات إليهما واسميها مع ارشادات بالرحيل إلى وادي النمل في إشارة إلى النملة التي تكلمت مع النبي سليمان ع وجنوده وامر له بان يقتل امرأته في إشارة إلى زوجة النبي نوح ع وامر بركوب السفينة التي تعني النجاة من القوم الظالمين، وفي الرقعة توجيهات خاصة يقودهما الهدهد فلما وصلا إلى موضع تتلاطم فيه الامواج القى ظئره الذي ولدته امه في البحر وهو الشخص الظئر الذي تربطك فيه عاطفة حميمة في إشارة إلى ظئر ابن النبي ابراهيم وهو زوج مرضعته (37) والظئر القريب منه هنا اكان اخا أو غير اخ !وكان معه من الجن من يعمل بين يديه فبنى سدا حتى انفصل عنهم في إشارة إلى حكاية يأجوج ومأجوج وراى جماجم (آثار) عاد وثمود فاخذ الثقليين مع الافلاك والجن ووضعها جميعا في (قارورة) صنعها هو وكأنه يجمع الثقليين بين يديه وهما الانس والجن في إشارة إلى إعادة الخلق فقد كانت القارورة مستديرة مثل الأرض الدائرية فقطع الانهار من كبد السماء إي قطع جذورها من السماء التي تنزل المطر حتى انقطع الماء عن الرحي أو الحياة التي هي كالرحي تطحن كل شئ وتعيده إلى الأرض فالرحي هي معادل رمزي للزمن والوحدة حتى بلغ الامر إلى طحن الشمس والقمر والكواكب ثم يتخلص من (14) تابوت في إشارة إلى تابوت اليهود وعشرة قبور عنها ينبعث ظل الله إي سلطة الحاكم باسم الله إي يتحرر حتى يقبضه الروح القدس، وفي طريق رحلته هذه يرى سراجا فيه دهن وينجس منه نور ينتشر في اقطار البيت، ويشعل مشكاتها ويشعل سكانها من اشراق نور الشمس عليهم (38)، فاذا كان السراج هو نور الله لان السهروردي والفلسفة الاشراقية يهتمون

³⁶ نفسه: 281

³⁷ لسان العرب: مادة (ظأر)

³⁸ الغربة الغربية: 289

بالنور حتى قيل انهم تأثروا بالمانوية، أصحاب ماني الذي ظهر في عهد سابور بن اردشير وكان يقول بنبوءة النبي موسى والنبي عيسى، ويزعم : إن العالم مصنوع من مركب من اصلين قديمين : احدهما نور والاخر ظلمة وأنهما ازليان لم يزالا وانكروا وجود شيء الا من اصل قديم ٠٠٠٠ الخ (39) لان فكرة الحكاية في وجود القصر والابراج والنور الساطع عليه نهارا ووجود الجب في القعر والسماح لهما بالصعود إلى القصر ليلا والنزول إلى قعر الجب نهارا وهو محاكاة واضحة لحركة النور والظلمة التي يشير بهما ماني مع تأثيرات نصرانية وفلسفية تمتد من افلاطون حتى ظهور حركة التصوف وقيام بطل الحكاية بوضع السراج في فم التنين الساكن في برج الدولاب (صورة لها صلة بالرحى والارض وحركة الزمن) وثمة بحر القلزم وفوقه كواكب لايعرف مستقرها الا خالقها والراسخون في العلم، ويريد بالراسخين هم أصحاب الباطن، أو العرفان الذين يستطيعون الوصول إلى ما هية الاشياء وحقيقة الوجود وصواب التفسير برايه بتاويل ظاهر الكلام إلى باطنه ثم يراقب حركة الافلاك وغيابها فلم يبق سوى الميزان لعلاقته بالنجم الثاقب أو النجم اليماني ولعله هو كوكب زحل الذي ارتبط اسمه بالشؤم والنوء الذي يحمل معه الكوارث، لذا يطلع ((النجم اليماني من وراء غيوم رقيقة متألقة مما نسميه مناكب زوايا العالم العنصري في عالم الكون والفساد).⁴⁰

في إشارة إلى زوايا العالم أو اركانه ولكنه وصف العالم بأنه عالم الكون والفساد فماذا يعني بالفساد ؟ ابدية عالم الكوارث التي يحملها زحل أو النجم الثاقب الذي يقترن بالنحس لقول الشاعر :

فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يمضي علينا زحل⁴¹

³⁹ الملل والنحل: 1/224

⁴⁰ الغربة الغربية: 260

⁴¹ التفسير الكبير : نخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية بيروت، 2000م

241/26:

كما اشار اليه الأمام نخر الدين الرازي في تفسيره وهو من المقربين مكانا وفكرا لدى السهروردي، تشبه / تحاكي رحلة الغربة الغربية رحلة الإنسان من الولادة إلى الممات إذ انها تقتزن بنهاية العالم حين يفور التنور بعد تلاشي المسافات واندراس السبل فيرى السهروردي في رحلته في إشارة إلى الرؤيا / النبوءة الإجرام العلوية حتى انه يسمع كما يقول : نغماتها، وسكنتها، وتعلت أنشأها واصواتها تفرع سمعي كأنها صوت سلسلة تجر على صخرة سماء فتكاد تنقطع اوتاري وتنفصل من لذة ما انال، ولايزال الامر يتكرر علي حتى انقشع الغمام وتخرقت المشيمة ⁽⁴²⁾، فلماذا يشعر باللذة هنا ؟ اهي لذة الاتصال بالحق ؟ ولماذا ينقشع الغمام وتخرق مشيمة الاتصال بالآخرين، ايقصد التوقف عند النهاية القصوى حيث تمتلك الموجودات حريتها وتحرر المحبوسات من المغارات والكهوف فيأخذ واحدا من الحيتان سبيله في البحر سربا إشارة إلى قصة النبي موسى (ع) مع الخضرع في سورة الكهف واقترابه من طور سيناء حين ذهب اليه فتجلى له الخالق، مما يشير إلى رحلة التجلي والاتصال بالحق التي ينالها الابرار والمجتهدين من الصوفية وهو ما يفعله السهروردي إذ يرى (أبانا شيخا) لعله يريد (أبا البشرية ادم)، لهذا يسجد له حتى (يحق في نوره الساطع)، وفي نشوة الاتصال الروحي بالحق والاحساس بتجلي الخالق بالذات واتصالهما من خلال مفهوم الفلسفة الاشراقية وعلاقتها بفلسفة افلاطون وجمهوريته التي تصور عالما خاصا بها ولكنه حين يتراجع لديه هذه الرؤيا الحلمية يصطدم بواقعه ومحبسه الغربي وقيوده فيه فاخذ يتضرع للحق في تجليه هذا إن يخلصه من موقفه هذا فيشير اليه الحق بأنه يمكنه المجئ لان (الصعود إلى جنتنا هينا متى شئت، والثاني انك تتخلص في الاخير إلى جانبنا تاركا للبلاد الغربية باسرها مطلقا) ⁽⁴³⁾، فيصبيه الفرع أو الدهشة كما يقول الصوفية، لقول الحق له (اعلم إن هذا جبل طور سيناء، وفوق هذا جبل طور سينين مسكن والدي وجدك

⁴² الغربة الغربية: 291 .

⁴³ نفسه: 294- 295

(⁴⁴)، في إشارة إلى تجلي الحق لموسى ومسكن الانبياء والاولياء ولان هذا المكان هو مركز النور الالهي الذي يتجلى به العبد للمعبود لان به نستضي ومنه نقتبس ولها البهاء الاعظم وله الجلال الارفع والنور الاقهر وهو فوق الفوق ونور النور وفوق النور ازلا وابدا وهو المتجلي لكل شئ (⁴⁵) ليقف في نهاية الرحلة وهي رحلة البحث عن النور الالهي لتنتهي الرؤيا الباطنة ويبدأ بالعودة إلى الواقع فيسقط من الهواء فيعرف بأنه محبوس بين قوم ليسوا بمؤمنين في ديار المغرب، ولكنه بقي يحمله في داخله شعور الاحساس بلذة الاتصال بالحق، مما لا يطيق شرحه فينتحب ويبتهل ويتحسر حتى كانت تلك الراحة احلاما زائلة على سرعة (⁴⁶)، وهذا الاخفاق في بلوغ حقيقة الاتصال بقي يسير في مساره الباطني التأويلي، ولم يبلغ مبتغاه بسبب خيبة السهروردي الحصول على النبوءة الحقيقة التي كان يطمح اليه فاكتمى بالرؤيا بوصفها نبوءة مكتسبة تعوض عن خيبته المستمرة لهذا ينهي حكايته هذه نهاية فلسفية استلهم بها طروحات افلاطون حول الطبيعة واللاهوت قبل إن ينهيها نهاية اسلامية في التحميد والصلوات على النبي وغير ذلك إذ قال : انما الله من سر الطبيعة وقيد الهيولي (⁴⁷) لتبدوا محاولة لاستقراء عالم خاص تم الكشف عن مغاليقه في الانفتاح على عالم التصوف انفتاحا مباشرا ينطلق من عالم الرؤيا إلى عالم التصورات الصوفية والفلسفة الاشراقية (⁴⁸) ذلك هو عالم رحلة الغربة الغربية لدى شهاب السهروردي الشهيد الثاني بعد الحلاج بسبب البحث عن حرية التعبير .

⁴⁴ نفسه: 295.

⁴⁵ نفسه: 296

⁴⁶ نفسه: 296

⁴⁷ نفسه: 297

⁴⁸ التصوف الاسلامي في اتجاهاته الادبية، قيس كاظم الجنابي: 224.

اعتقاد الحكماء: جاءت رسالة اعتقاد الحكماء للرد على خصوم التصوف الاشرافي ووصفهم بالدهرية الذين لا يقولون بوجود صانع وانبياء، ولا بالحشر والنشر والمرجع والمعاد ولا بالعذاب والراحة بعد الموت ⁽⁴⁹⁾، والدهريون هم الطبيعيون الذين ألفوا المحسوس وركنوا اليه الفلاسفة الالهيون ⁽⁵⁰⁾ ولعلمهم الثنوية الذين قالوا بوجود ازلين احدهما النور والاخر الظلمة وهم بخلاف المجوس قالوا: بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه، وقالوا: بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجناس والابدان والارواح ⁽⁵¹⁾ وقد قالت في ذلك المرقيونية و اضافوا إلى الاصلين القديمين اصلا ثالثا (هو المعدل الجامع) وعده سبب المزاج فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع في هذا العالم ⁽⁵²⁾ ولعل اراد بالعنصر الثالث الصراع بين المتضادين أو الجدل (الديالكتيك) الذي قيل إن (هيجل) جعله مثاليا وليس ماديا، ثم جعله ماركسي ماديا، وقد وصف ابو العلاء المعري (ت 449هـ/1057م) الذي سبق السهروردي واتهم بالالحاد والزندقة وصف الدهرية بقوله :

قال قوم، ولادين بما قالوه : إن ابن ادم كابن

عـرس

جهل الناس ما ابوه على الدهر

ر ولكنه مسمى

بحـرس

في حديث رواه قوم لقوم

رهن طرس مستنسخ

بعد طرس ⁽⁵³⁾

⁴⁹ اعتقاد العلماء: 262

⁵⁰ الملل والنحل: 3/2

⁵¹ الملل: 224/1

⁵² الملل: 232/1

⁵³ اللزوميات: 35/1

أشار السهرودري في مقدمة لرسالة (اعتقاد الحكماء) إلى إن ما اتهمه به الخصوم هو مجرد ظن وان الظن يخطئ ويصيب، لان الله واجب الوجود وان الانبياء مأمورون باداء واجبه وان العالم ممكن الوجود وكل ممكن الوجود محدث وان القديم لا يكون الا ما يحتاج في وجوده إلى غيره (54) ثم يستمر بأسلوب فلسفي في البرهنة على دفع التهمة عنه ليقول : لاتكون مبدعات الاجسام لوجهين، احدهما هو إن الاعراض مختلفة والجسم حقيقة واحدة فلو كانت الاعراض مبدعات الاجسام لكانت مختلفة في الجسمية والوجه الثاني هم إن الاعراض مفتقرة في الوجود إلى الاجسام فكيف يكون العرض مبدعا لما افتقر اليه الوجود ؟

ويستمر في ذلك ليقنع الآخر بجدوى فكره وعقليته في إن أول ما ابداع الخالق لامرا عقليا حيا عالما باعتبار نعقل ذاته نفس الفلك وكذلك من الثاني عقل ثالث حتى يبلغ العاشر وهو عالم العنصریات ونفوس الإنسان وهو الذي يسمونه بواهب الصور ويسميه الانبياء بروح القدس أو جبرائيل (55) ثم ينطلق في بيان البراهين العلمية الفيزيائية والفلسفية في بيان وجهة نظره مشيرا إلى خلق الحق (الزمان والمكان) والى ما يردده البعض حول دوام بقاء العالم، بمعنى انه ليس بينه وبين مبدعه تاخر زماني ولا مكاني ولا رتبي ولا طبعي ثم يعقب قائلا : نعم لو قال (العالم دائم بمعنى انه ليس له مبدع وصانع) فذكر كفر وزندقة (56) في محاولة لدفع الكفر والزندقة عن نفسه .

ثم يفصل بعض الأفكار الفلسفية الخاصة بالارادة وان الإنسان هو اشرف الحيوانات الارضية لأن له نفس ناطقة وهي عبارة عن جوهر عقلي وحداني ليس في عالم العنصري ولا في عالم الاثري وهو عالم السماوات وان الواحد لا يدركه الا

54 اعتقاد العلماء :263

55 اعتقاد الحكماء :264-265

56 نفسه :265

أمر وحداني بل هو أمر وحداني، في إشارة إلى ما قاله الحلاج الذي سبقه في محتته قبل صلبه حينما قال (وحسب الواحد أفراد الواحد له) ⁽⁵⁷⁾، ثم يعرف بعض المصطلحات الفلسفية التي لها علاقة بفكره الاشرافي وغيره مثل الحركات وواهب الصور والهيولي إذ وصفت بأنه (عبارة عن جوهر يلبس تارة الصورة النارية وتارة الصورة الهوائية وتارة الصورة المائية وتارة الصورة الترابية) ⁽⁵⁸⁾ في إشارة إلى العناصر الاربعة عند فلاسفة اليونان ليقول : (والعناصر الاربعة تارة هواء وهواء، وماء وتراب : فالنار في غاية البعد من المركز، والتراب في غاية البعد عن المحيط) ⁽⁵⁹⁾ ليتوصل بان امتزاج هذه العناصر هو الذي يولد المعادن والنباتات والحيوانات ثم يبدأ بالمفاضلة بين الحيوان والنبات فيرى إن الحيوان اشرف من النبات واتم امتزاجا والنبات اتم من المعادن وما زاد الحيوان به على النبات فهي القوى المدركة ؟ وهي (خمسة باطنة وخمسة ظاهرة أما الخمسة الظاهرة، فهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس، واما الخمسة الباطنة، فهي الحس المشترك والخيال والتمخيلة والوهم والحافظة) ⁽⁶⁰⁾ في إشارة إلى الحواس والفكر الظاهر والباطن ويفصل أنواع العوالم عند الحكماء فيجعلها ثلاثة انواع : عالم العقول وهو عالم الجبروت وعالم النفوس وهو عالم الملكوت وعالم الملك وهو عالم الأجرام ⁽⁶¹⁾ فالعالم الأول : هو عالم الخلق والقوة والتدبير والثاني عالم الملائكة والثالث الكون بما فيه من أجرام واشياء ثم يستمر في ذلك لبيان طبيعة النفس البشرية فيصفها بأنها عارفة بالله وبملائكته منشقة بالحقائق ومن جهل ذلك فانه يكون، اعمى، وان

⁵⁷ نفسه: 267

⁵⁸ نفسه: 268

⁵⁹ نفسه: 268

⁶⁰ نفسه: 268

⁶¹ نفسه: 268

الانبياء مبعوثون بالحق لتذكير البشر ولا بد إن تكون نفس الإنسان شريفة حتى تؤثر في هذا العالم تأثيرا عظيما لأنها تتصل بروح القدس لتكسب الزرئية وخاصة الاحراق وهذا ما يحصل للاولياء والانبياء مخصصون لانهم مامورون باصلاح الخلق واداء الرسالات دون الاولياء، ثم يشير إلى ارباب الرياضة، إي الذين يجاهدون النفس بالجوع والعطش والسهر واداء العبادات ليكسبوا فكرهم مقابل ضعف قواهم الجسدية وهؤلاء هم أصحاب القلوب وقد يستعينون بالسماع (النعمة الرخيمة) أو بالطيب وغيرها فيحصل لهم انوار روحانية وتخيلاتا خاصا فيرون الاشباح الروحانية على احسن ما يتصور من الصور والكلام العذب ويستفيدون بعض العلوم ويرون أشياء مكتوبة إي باطنة فهؤلاء أصحاب الحظ الاوفر والمقام الاعلى في الدنيا والاخرة فطوبى لمن ادرك نفسه قبل الموت وحصل لنفسه في الدنيا درجة يلتذ بها في دار الفناء ويفرح بها في دار البقاء (62) وهكذا جعل أصحاب فلسفته يكتشفون سر الوجود، وسر العبادة والطمأنينة في الاخرة .

حكمة الاشراق:

يبدأه بالبسملة والدعاء على لسان جمهور المتكلمين بقوله (وأجعلنا من الفائزين ولاآلائك من الذاكرين (63)) مشيرا إلى إن صحبه اشاروا عليه والخوا عليه بان يكتب لهم كتابا يذكر فيه له في تجربته الصوفية، بقوله (اذكر فيه ما حصل لي بالذوق في خلواتي ومنازلاتي : ولكل نفس طالبة قسطا من نور الله قل أو كثر ولكل مجتهد ذوق نقص أو كمل وليس العلم وقفا على قوم ليغلق بعدهم باب الملكوت ويمنع المزيد عن العالمين (0000)، وشرا لقرون ما طوي فيه بساط الاجتهاد وانقلع فيه سير الأفكار وانحسم باب المكاشفات وانسد طريق المشاهدات (64)، ثم شرع في شرح خطة الكتاب ومنهجه وما يحتويه معرجا أول الامر إلى

⁶² نفسه: 268

⁶³ مصنفات شيخ الاشراق، حكمة الاشراق: 9

⁶⁴ حكمة الاشراق : 9-10

مصنفاته السابقة إذ قال : ((ولقد اتيت لكم قبل هذا الكتاب وفي اثنا عشر عند معاونة القواطع عنه كتباً على طريقة المشائين ولخصت فيها قواعدهم ومن جملتها المختصر الموسوم بـ (التلويحات اللوحية والعرشية) المشتغل على قواعد كثيرة ولخصت فيها القواعد مع صغر حجمه ودونه اللوحات وصنفت غيرهما ومنهما ما رتبته في أيام العجى))⁽⁶⁵⁾، ثم انتقل إلى كتابه الأكثر رواجاً وانتشاراً وتعبيراً عن فكرة الاشراقي وفلسفة المشائين، ذلك هو كتاب (حكمة الاشراق) بقوله: ((وهذا سياق آخر وطريق أقرب من تلك الطريقة وانظم واضبط واقل اتعاباً في التحصيل، ولم يحصل لي أولاً بالفكر بل كان حصوله بأمر آخر ثم طلبت عليه الحجة حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلاً، ما كان يشككني فيه مشكك))⁽⁶⁶⁾، بعد ذلك حاول الإشارة إلى مصادره وجوهر فلسفته إذ قال : ((وما ذكرته من علم الانوار وجميع ما يبتنى عليه وغيره يساعديني عليه كل من سلك سبيل الله عز وجل وهو ذوق أمام الحكمة ورئيسها افلاطون صاحب الايد والنور وكذا من قبله من زمان والد الحكماء هرمس إلى زمانه من عظماء الحكماء واساطين الحكمة مثلاً انبأ قلس وفيثاغورس وغيرهما وكلمات الاولين مرموزة وما رد عليهم وان كان متوجهاً على ظاهر اقاويلهم لم يتوجه على مقاصدهم فلا رد على الرمز وعلى هذا يبتنى قاعدة الشرق في النور والظلمة التي كانت طريقة حكماء الفرس مثل جاماسف وفرشاوشترو وبوزرجهر ومن قبلهم وهي ليست قاعدة كفرة المجوس والحاد ماني وما يفضي إلى الشرك بالله تعالى وتنزه))⁽⁶⁷⁾، ثم اشار إلى الاصول الثلاثة والمعلم الأول ارسطوطاليس واستاذيه ومن تبعهم اغاثاذين وهرمس واسقلينوس وغيرهم⁽⁶⁸⁾ واعقب ذلك بذكر المقصود بـ (الحكيم المتأله) وهو القطب أو صاحب

⁶⁵ نفسه : 10

⁶⁶ نفسه : 10

⁶⁷ نفسه : 10-11

⁶⁸ نفسه : 11

الرئاسة عند جلة القوم، وحاول إن يفهم القارئ بأنه صنف كتابه هذا (لطالبي التأله والبحث وليس للباحث الذي لم يتأله أو لم يطلب التأله فيه نصيب ولانباحث في هذا الكتاب ورموزه الا مع المجتهد المتأله أو الطالب للتأله واقل درجات قارئ هذا الكتاب إن يكون قد ورد عليه البارق الالهي وصار وروده ملكة له وغيره لاينفع به اصلا. (69).

وبعد ذلك راح يحيل قارئه إلى طريقة المشائين وبوجهه فيدعوه إليها، بقوله ((فانها حسنة للبحث وحده محكمة وليس لنا معه كلام ومباحثة في القواعد الاشراقية بل الاشراقيون لاينتظم امرهم دون سواش نورية)) (70)، والمح إلى انه جعل هذه الرسالة (مختصرة مضبوطة قليلة العدد كثيرة الفوائد وهي كافية للذكي ولطالب الاشراق ومن اراد التفصيل في العلم الذي هو الآلة، فليراجع الكتب المفصلة) (71) يتكون هذا الكتاب (المصنف / الرسالة) من مقدمة، وقسمين : الأول، ويتكون من ثلاث مقالات والثاني، ويتكون من خمس مقالات فيكون مجموع ابواب الكتاب : 9 إذا اضفنا لها المقدمة .

يعد كتاب (حكمة الاشراق) جوهر فلسفة السهروردي الصوفية لأنه كتب للخاصة من اتباع الفلسفة الاشراقية وحفر مساربه فيها لهذا يشعر المتلقي نحوه بالغموض، لأنه يتضمن بعض الاحالات أو الاشارات أو الرموز الخاصة باتباع هذه الطائفة من فلاسفة التصوف، لذا شن الفقهاء واصحاب التفسير الظاهري للكلام عليه حملة شملت اتهمهم بالزندقة والالحاد ولاعتقادهم بأنه سلك طريقا لم يقلد فيها المشائين بل بين فساد أقوالهم فيها وان كانت سمة الالحاد تتناولهم كلهم فرد عليهم دعواتهم إن العقول عشرة وهؤلاء المتأخرون يقولون انها الملائكة بل من أهل الملك وهو

⁶⁹ نفسه 13-12

⁷⁰ نفسه 13:

⁷¹ نفسه 13:

يسمى الانوار (72)، وعد بعضهم فلسفته هذه هي التي يسلكها الفارابي وابن سينا وابن رشد ونحوه فلسفة المشائين وهي المنقولة عن ارسطو الذي يسمونه المعلم الأول (73) وقد حاول الاصوليون أو السلفية ايجاد صلة بينه وبين الحلاج، ووصفوا اعتقاداته بأنها امور غريبة (74) في محاولة لايجاد صلة وثيقة بين الزرادشتية والفلسفة الاشراقية لعنايتهما بالنور واعتقادهما بوجود عنصرين اساسيين في الكون ذلك إن الزرادشتية التي نشأت في بلاد فارس امتدت شعراء التصوف من أمثال حافظ بكثير من التعابير اللغوية فهم كثيرا ما يتحدثون عن هيكل النار وعن الكاهن الزرادشتي وعن الخانقاه أو الزاوية، أو المرشد الروحي / الشيخ / القطب، ولكنها تعد مجرد وسيلة استخدمها الصوفي لتأكيد استقلال الباطن عن الظاهر في الكلام المنزل بمعنى إن الباطن لا يستخرج من الظاهر مباشرة، بل حد الله لأنه مصدر الوحي الجامع لهذين البعدين في أن واحد (75)، في حين زعم أصحاب الكينونة إن الاصول ثلاثة : النار والارض والماء وان الموجودات حدثت من هذه الاصول دون الاصلين الذين اثبتهما الثنوية، قالوا : والنار بطبعها : خبرة، نورانية، والماء ضدها في الطبع، فما كان من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء، والارض متوسطة وهؤلاء يتعصبون للنار شديدا، ومن حيث انها : علوية، نورانية، لطيفة، لا وجود الا بها، ولابقاء الا بامدادها (76)، في إشارة إلى علاقة الديانات القديمة واثرها في الفلسفة الاشراقية التي ترفض ذلك وتؤكد على مصدرها

⁷² درء التعارض : 84/10

⁷³ تلخيص كتاب الاستغاثة : 58/2

⁷⁴ ابجد العلوم : 333/2، روح المعاني : 225/13

⁷⁵ الصوفية بين الامس واليوم : 163-164 (بتصرف)

⁷⁶ الملل : 233/1

اليوناني الافلاطوني، وقد تأثر السهروردي بفكار ابن سينا والاخير بدور تأثر بالافلاطونية المحدثه وبعنصر ايرانية وهرمسية (77) .

ويؤكد المستشرق (قنواي) بان السهروردي كان امينا على المصطلحات والاساطير التي كانت مفضلة في التراث الايراني وخصوصا ما كان فيه من اراء حول الملائكة، واساس هذا السعي للوصول إلى مركز شامل حي هو الاعتقاد بوجود حكمة واحدة وحسب وماثور صوفي واحد (78)، للجذور القومية، الفارسية تأثير واضح على ثقافة السهروردي وقد جذبته لاستلهاام الفكر الفلسفي القديمة مع الافادة من ثقافات الترك والهند ثم حاول مزجها مع الاطار الإسلامي لأنه يمنح لتصوراته بعدها الإسلامي من خلال شواهد القرانية واحاديث النبوة وهو يلتقي شأنه شأن محي الدين بن عربي ومن تلاوه من أصحاب وحدة الوجود، بيد اننا لاندلحظ تأثيرات جليلة عليه من الفكر الصوفي لدى الغزالي وعمر السهروردي وعبد القادر الجيلاني وما شابههم، تبدأ المقالة الأولى في ضوابط دلالة اللفظ على المعنى إذ يفسر بأنها دلالة القصد وعلى جزء المعنى هي دلالة الحيلة وعلى لازم المعنى دلالة التطفل ويفترض بأنه لا يخلو دلالة قصد عن متابعة دلالة الحيلة (79) وهكذا، ثم ينتقل إلى التصور والتصديق في إن المفهوم من اللفظ إذا لم يتصور فيه الشركة لنفسه اصلا هو المعنى الشاخص واللفظ الدال عليه باعتباره يسمى اللفظ الشاخص (80)، يدخل بعد ذلك إلى مفهوم الماهيات فيبدأ كلامه بقوله : هو إن كل حقيقة فاما بسيطة وهي التي لاجزاء لها في العقل أو غير بسيطة وهي التي لها

⁷⁷ جاردية فتواي، الفلسفة وعلم الكلام والتصوف ضمن كتاب (تراث الإسلام) تصنيف : شاخت وبوزورن، ترجمة د. حسين مونس واحسان صديقي العمدة، مراجعة د. فؤاد زكريا (عالم المعرفة، الكويت 124، ط2، 1988) : 108/1

⁷⁸ نفسه 109/1

⁷⁹ حكمة الاشراق : 15

⁸⁰ نفسه : 15

جزء كالحيوان فانه مركب من جسم وشي يوجب حيوته ⁽⁸¹⁾، وهو يحاول إن يعطي معنى المفاهيم والاصطلاحات التي يشتغل عليها وفق تصور منطقي يقنع المتلقي وربما لكي يدخله في البحث على لا يستطيع محاجته وفهم مرامي فكره الذي ذكر انه عدة للمتألهين فيشير إلى إن المعنى العام لا يتحقق في خارج الذهن إذ لو تحقق لكان بدله هوية يمتاز بها عن غيره ولا يتصورا لشركة فيها، وهو أما إن يكون وقوعه على كثيرين بالسواء كالاربعة على شواخصها ويسمى العام المتساق واما إن يكون على سبيل الاتم والانقص كالابيض على الثلج والعاج وسائر ما فيه الاتم والانقص ما يسميه المعنى المتفاوت ⁽⁸²⁾، كما يحاول إن بيان معارف الإنسان فيرى بأنها فطرية وغير فطرية ثم انتقل إلى الحدود فعرفه بان القول الدال على ما هية الشئ ⁽⁸³⁾، وبعد هذه المقدمات يلج صلب موضوعه وهو الاشراق فيحاول هدم قاعدة المشائين في التعريفات لانهم سلخوا بان الشئ يذكر في حده الذاتي العام والخاص إذ يتوصل إلى حقيقة مفادها إن الاتيان على الحد كما التزم به المشاؤون غير ممكن للانسان ⁽⁸⁴⁾ .

أما المقالة الثانية فتبدأ برسم القضية والقياس فيعرف القضية هي التي يقال قائلها صادق و كاذب، وهي في البلاغة تسمى الخبر تميزا له عن الانشاء الذي ليس صادقا ولا كاذبا فاذا اردنا إن نجعل منها قياسا ضمنا إليها قضية حملية لاستثناء عين المقدم ليلزم عنه عين التالي ⁽⁸⁵⁾ ثم بين أقسام القضايا، ومهمات القضايا ويثبت من خلال ذلك فلسفة الاشراقية تناول بيان رد القضايا ينتقل بعدها إلى التناقض وحده وهو الذي دعاه هيجل بالصراع أو الجدل فيعرفه بأنه هو اختلاف قضيتين

⁸¹ نفسه :15

⁸² نفسه :17

⁸³ نفسه :19

⁸⁴ نفسه :21

⁸⁵ نفسه : 22

بالإيجاب والسلب لا غير ثم يلزم منه إن لا يجتمعا صدقا ولا كذبا⁽⁸⁶⁾ ثم يحاول إن يتبين المقصود بالعكس فيعرفه بأنه جعل موضوع القضية بكليته محمولا والمحمول موضوعا مع حفظ الكيفية وبقاء الصدق والكذب بحالهما⁽⁸⁷⁾ وقد تخط فيه كثير من المشائين في مثل قولك (ليس بعض الحيوان انسانا) إذا عينت ذلك البعض وجعلته كليا انعكس إلى ما قلنا أو تجعل السالب جزء المحمول⁽⁸⁸⁾، إلى إن يتوصل إلى تعريف مهم للقياس وهو انه لا يكون اقل من قضيتين فان القضية الواحدة إن اشتملت على كل نتيجة فهي شرطية لا بد فيها من وضع أو رفع بقضية أخرى وهو القياس الاستثنائي⁽⁸⁹⁾، والسهروودي خلال سرده لموضوعته الفلسفية لا ينسى إن يقتطع بعض الزمن ويمنح الملتقى فرصة الافادة من دقيقة اشراقية أو حكمة اشراقية حول السلب فيرى إن العزق بين السلب إذا كان في القضية الموجبة وبين السلب إذا كان قاطعا للنسبة الايجابية وهي إن الأول لا يصح على المعدوم إذ لا بد للاثبات من إن يكون على ثابت بخلاف الثاني فان النقي لا يجوز عن المنفي⁽⁹⁰⁾، ثم ينتقل إلى قاعدة الاشراقين في الشكل الثاني والثالث ... حتى يبلغ موضوع البرهان الذي يعرفه بأنه هو مقياس مؤلف من مقدمات يقينية⁽⁹¹⁾ ومن خلاله يعرج إلى الحدسيات على قاعدة الإشراق فيرى بأنها اصناف وهي المجربات المتواترة، يبدأ المقالة الثالثة بفصل المغالطات وهي إن يقع الغلط في القياس بسبب ترتيبه⁽⁹²⁾ ويستمر في تفضل الاسباب التي احدثت تلك المغالطات في الفصل الثاني تحت باب الضوابط وجد الشكوك وفيه يلتقط

⁸⁶ نفسه : 30

⁸⁷ نفسه : 31

⁸⁸ نفسه : 32-33

⁸⁹ نفسه : 33

⁹⁰ نفسه : 34

⁹¹ نفسه : 40

⁹² نفسه : 46

قاعدة في هدم قاعدة المشائين في العكس فيقول (واعلم إن المشائين ثبتوا العكس بالافتراض والخلف والخلف أيضا في العكس يبتنى على الافتراض)⁹³، ويشتمل الفصل الثالث على مراجعة بعض النكت الاشرافية معلقا هنا وهناك على بعض أفكار المشائين التي هي الاصول الرئيسية للفكر الاشرافي مما يدل على محاولات السهروردي تجاوز الفلسفة اليونانية، وبناء تاسيسات خارجة عنها واجبها رسم صورة حقيقية لفكره وفلسفته التي يسردها هنا للمتأهلين فيشير إلى من خالف المشائين ومن تبعهم⁹⁴.

في القسم الثاني من الفصل الثالث يناقش فكرة الاشرافيين الذين اوجبوا إن لايعرف شيء من الاشياء لان جوهر الاشياء لها فصول مجهولة⁽⁹⁵⁾، وفي القسم الثاني يناقش (إبطال الهيولي والصورة) فيتناول راي المشائين الذين قالوا : الجسم يقبل الاتصال والانفصال، والاتصال لايقبل الانفصال فينبغي إن يوجد في الجسم قابل لهما وهو الهيولي⁽⁹⁶⁾ " ويستمر في ذلك حتى يصل إلى موضوع اثبات المشائين لصور أخرى ليصل إلى فكرة مفادها إن المشائين (اثبتوا في الاشياء المتشخصة امورا لا تحسن ولا تعقل بخصوصها حتى يصير الحقائق - بعد إن علمت - مجهولة والحق مع الاقدمين هذه المسألة)⁹⁷، ويتناول موقف المشائين مثل افلاطون في : إن الصورة الانسانية والفرسية والمائية والنارية لو كانت قائمة بذاتها لما تصور حلول شيء مما يشاركها في الحقيقة والمحل⁹⁸

ويستمر في مخاطبتهم فيقول لهم : ثم حكتم بان الوجود يقع بمعنى واحد على واجب الوجود وعلى غيره، وفي واجب الوجود الوجود نفسه وفي غيره عارض له

⁹³ نفسه : 58

⁹⁴ نفسه : 65-67

⁹⁵ نفسه : 73

⁹⁶ نفسه : 74

⁹⁷ نفسه : 88

⁹⁸ نفسه : 92

زائد على الماهية فيقول لكم القائل : استغناء الوجود عن ما هية يضاف إليها إن كان النفس الوجود، فليكن الجميع كذا⁹⁹ ثم يتناول موضوع الصورة والمرآة وهما من الموضوعات الخاصة بعلم الفيزياء ينتقل بعدها إلى المسموعات وهي الاصوات والحروف، أما القسم الثاني فيتناول الانوار الالهية التي هي جوهر الفكر الاشراقي وفلسفة السهروردي فيرى إن الشيء ينقسم إلى نور وضوء في حقيقة نفسه وإلى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه¹⁰⁰ ثم يقسم النور إلى نور في نفسه لنفسه وإلى نور في نفسه وهو لغيره¹⁰¹ أما نور الانوار فهو وحداني لا شرط له في ذاته وما سواه تابع له¹⁰²، وإن المنير انور من المستنير من جهة إعطاء ذلك النور فيكون ذاته انور من ذاته، وذلك ممتنع¹⁰³ ويستمر في تعريف البرزخ ونور الانوار ليصل إلى برهان علمي إن الحق في العلم هو قاعدة الاشراق وبعد ذلك نتوضح ملامح الفلسفة الاشراقية في توصلاته الفلسفية وموقف المشائين من البرزخ، واعتقاد افلاطون واصحاب المشاهدات حول النور المحض، إي عالم العقل مستدلاً على ذلك بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، وبأن لله سبعا وسبعين حجاباً من نور لو كشف عن وجهه لاحت سبحات وجهه ما ادرك بصره¹⁰⁴، وفي بعض الادعية النبوية ((يا نور النور، احتجبت دون خلقك، فلا يدرك نورك نور، يا نور النور، قد استنار بنورك أهل السماوات واستضاء بنورك أهل الأرض، يا نور كل نور خامد بنورك كل نور¹⁰⁵)، وفي المقالة الثالثة يبين إن فعل الانوار ازلي

⁹⁹ نفسه : 107

¹⁰⁰ نفسه : 117

¹⁰¹ نفسه : 112

¹⁰² نفسه : 123

¹⁰³ نفسه : 152

¹⁰⁴ نفسه : 162-163

¹⁰⁵ نفسه : 164

وان نور الانوار، والانوار الظاهرة ظلالها واضواءها المجردة دائماً¹⁰⁶ ليدخل من خلالها إلى الزمان فيصفه بأنه (مقدار الحركة إذا جمع في العقل مقدار متقدمها ومتأخرها¹⁰⁷ ثم يتبع ذلك باقسام البرازخ وان الجسم يتكون من برزخين احدهما مزدوج والاخر فارد (مفرد) والافلاك برازخ اهر لا تفسد ولا تبطل مع دوام الحركات والبرزخ القابس هو ما تحتها¹⁰⁸ ويتوصل إلى إن الحركات كلها سببها الأول إي الاعلى النوري¹⁰⁹ .

ثم يتواصل الحواس الخمس الظاهرة وان محسوسات البصر اشرف لكن اللمس اهم للحيوانات والا هم غي الشرف، وينتقل بعد ذلك إلى الحواس الباطنة غير مختصرة في الخمس وهو يريد بها المتخيلة التي تفعل ولا تدرك¹¹⁰

ومن خلال ذلك مر بموضوع صور المرايا والتخيل لان انطباع الصور في العين ممتنع والمرايا هي المتخيلة منها، ويعرج بعضها إلى بيان التناسخ ولا يريد به تناسخ الارواح وإنما تناسخ الانوار حتى يبلغ موضوع تخلص الانوار الطاهرة إلى عالم النور المحض فيصير قدسيا تقدس نور الانوار والقواهر القديسين¹¹¹، والتناسخ في الارواح هو انتقال الروح من شخص إلى اخر¹¹² وهو غير التناسخ بالانوار أو الموجودات الأخرى، ثم عرج على موضوع الاتحاديين الانوار المجردة فرأى انه هو الاتحاد العقلي لا الجرمي¹¹³ .

ويعد السهروردي من دعاة الاتحاد ووحدة الوجود التي شاعت لدى المتصوفة لتأثرهم بالفكر اليوناني وقد كان الحلاج ممن يؤمن بالاتجاه والروح هي قبسه من

¹⁰⁶ نفسه : 172

¹⁰⁷ نفسه : 179

¹⁰⁸ نفسه : 187

¹⁰⁹ نفسه : 193

¹¹⁰ نفسه : 204-210

¹¹¹ نفسه : 223-224

¹¹² الملل والنحل : 1/233

¹¹³ حكمة الاشراق : 238

النور الالهي ويحاول الزهاد التخلص إلى عالم المثل المتعلقة التي مظهرها بعض
البرازخ العلوية فيستحضر من الاطعمة والصور والسماع الطيب وغير ذلك على ما
يشتهي والصور المعلقة ليست مثل افلاطون فان مثل افلاطون نورية ثابتة وهذه
مثل معلقة منها ظلمانية ومنها مستنيرة للسعداء على يلتدون به¹¹⁴ ثم يتصور إلى عبر
التجربة الذاتية كانها خلاصة فكرة في هذه الفلسفة فيقول : ولي في نفسي تجاري
صحيحة تدل على إن العوالم أربعة : انوار ظاهرة وانوار مدبرة وبرزخان وصور معلقة
ظلمانية ومستنيرة فيها العذاء للاشقياء .. وهذه النفوس والمثل المعلقة يحصل الجن
والشياطين وفيها السعادات الوهمية¹¹⁵ ، ولا يفوته إن تبين المقصود بالشقاوة والشر
وأنهما لزما في عالم الظلمات من الحركات والظلمة والحركة لزمتا من جهة الفقر في
الانوار القاهرة المدبرة والشر لزم بالوسائط، ونور الانوار يستحيل عليه هيئات
وجهاً ظلمانية فلا يصدر منه شر والفقر والظلمات لوازم ضرورية للمعلومات
كسائر لوازم الأهمية المتنعة السلب ولا يتصور الوجود الا كما هو عليه والشر في
هذا العالم اقل من الخير بكثير¹¹⁶ ، ويختتم كتابه بما يتلقاه الانبياء والاولياء وغيرهم
من المغيبات فهي ترد باسطر مكتوبة أو بسماع صوت قد يكون لذيذا وقد يكون
هائلا وقد يشاهدون صور الكائن وقد يرون صوراً حسنة انسانية تخاطبهم في غاية
الحسن فتناجيهم بالمغيب¹¹⁷ ، ثم يشرع في تعليل ذلك علمياً ويشير إلى أهمية الاذكار
والادعية إذ يلقي الله التقديس في قلوب الذين اوو إلى المحاريب يقرأون الاذكار
وينادون ربهم فيقولون : الهنا اطمس عنا غيب النكر، إن غيب النكر دثار
الجاهلين الهنا اتيناك طائعين وشارت اليك الارواح بالتقاديس طالبات الرقي إلى
مقاعد الجلال من كرسيك التسبيح ومطرح نورك الرشيد فقدمهن بايديك المتين

¹¹⁴ نفسه: 230-231

¹¹⁵ نفسه: 232

¹¹⁶ نفسه: 235

¹¹⁷ نفسه: 240

ركضت نفوس أولى البصائر إذا رمقت نحو عرصات ضوءك الكريم
غياث المستجيرين¹¹⁸ وعندما تسمع الملائكة صياح الابرار من خشية الله يتضرعون
إلى ربهم مخاطبة: إن قوما صاحوا في نجواهم وبكوا في محاريبك طالبين بركات
سما جلالك تبرؤوا عن الطواغيت وتجردوا عن السحت وبذلوا جهدهم في
سبيلك الكريم، فاجعل لهم من لدنك خطا عزيزا واجعل لهم من لدنك سلطانا
نصيرا منيرا¹¹⁹، ثم يعود في آخر الكتاب إلى مقصوده وعلمه فيكشف عن فلسفته
التي ترى إن النور السائح من العالم الأعلى هو اكسير القدرة والعلم فيطيعه العالم
والنفوس المجردة يتقرر فيها مثال من نور الله ويتمكن فيها نور خلاق والعين السوء
هو لنورية قاهرة تؤثر في الأشياء فتفسدها¹²⁰ فإذا كثرت الانوار الالهية على إنسان
مسنة لباس العز والهيبة وتنقاد له النفوس¹²¹، وينبي السهروردي كتابه ب وصية
المصنف، وتبدأ بوصية عادية تشاكل خاتمة اية خطاب اسلامي ثم يلحق بها ما
يخص وصيته بكتابه هذا بوصفها منهاج عمل لسالك التصوف وفلسفته فيقول:
واوصيكم بحفظ هذا الكتاب والاحتياط فيه وصونه من غير اهله والله خليفتي
عليكم فرغت من تأليفه آخر جمادي الآخرة من شهر من سنة اثنين وثمانين وخمس
مائة في اليوم الذي اجتمعت الكواكب السبعة في برج الميزان في آخر النهار فلا
تمنحوه الا اهله ممن استحكم طريقة المشائين وهو محب لنور الله وقبل الشروع
يرتاض أربعين يوما تاركا لحوم الحيوانات مقللا للطعام منقطعاً إلى التأمل لنور الله
عز وجل وعلى ما يأمره قيم الكتاب¹²² ثم يردف ذلك بقوله : فإذا بلغ الكتاب
اجله فله الخواص فيه¹²³، لعله يقصد بعد وفاة مصنفه فله الحق في الخوض فيه،

¹¹⁸ نفسه : 246

¹¹⁹ نفسه : 251

¹²⁰ نفسه : 259

¹²¹ نفسه : 252

¹²² نفسه : 257

¹²³ نفسه : 258

وكانه يرسم لسالك الطريق سبيلا خاصا في تلقي التصوف الاشرافي لأنه كتاب خاص بالمتأهلين، ثم يكشف للقارئ بأنه القاه الثاقب القدسي في روعي في يوم عجيب دفعة، وان كانت كتابته ما انقضت الا في اشهر لموانع الاسفار¹²⁴ في إشارة إلى انه تلقاه الهاما من الروح القدسي كما يتلقى الانبياء الاحاديث القدسية، لذا حذر من الإطلاع عليه دون مراجعة الشخص الذي يكون خليفة عنده علم الكتاب¹²⁵.

¹²⁴ نفسه: 258:

¹²⁵ نفسه: 259: